

المخلص

(التجربة الحاسوبية فى هندسة التكوين الخطي)

تسعى هذه الدراسة لإبراز كيف أن الحاسوب لم يستطع إتقان وإجادة التراكيب الخطية إنطلاقاً من غياب روح القلم وإحساس الخطاط الفنان ، كما أن جميع التكوينات الحاسوبية جاءت مجردة من روح الإبداع الفني الخالق وكيف أن الحروف الحاسوبية إنما جاءت لتسد مسداً في فراغها الذى وضعت فيه ، ولإبراز أن تداخل الحروف في التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين الخطي إنما جاء بشكل شبيهاً للحرف العشوائي وقد افتقد لأبسط قواعد التراكيب الخطية .

الكلمات المفتاحية : التجربة الحاسوبية / الحاسوب والتكوين / هندسة التكوين / التكوين الخطي والحاسوب

**Computational Experiment In Linear Configuration
Engineering**

This study seeks to highlight how the computer was unable to master calligraphic compositions based on the absence of the spirit of the pen and the sense of the artist calligrapher, just as all computer compositions came devoid of the spirit of creative artistic creativity, and how computer letters only came to fill the void in which they were placed. To highlight that the overlapping of letters in the computer experiment on the geometry of linear formation only came to resemble a random letter and lacked the simplest rules of linear composition

Keywords: computational experiment / computer and composition / composition engineering / linear composition and computer

المقدمة

يعد الخط العربي معلماً من معالم الحضارة الإسلامية ومسحة من الجمال والهوية بما يتكيز به من حسة الراقى وتطوره عبر العصور المتقدمة وكذا في عصرنا الحالى والذى ذاع حضوره ووجوده حتى كان الإهتمام به من غير العرب أنفسهم ، وقد طارت شهرة الخط العربي في الأفاق والمحافل لذا فلا عجب أن نجد ثمة صراع بين الأصالة والمعاصرة في ظلال وجود التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين الخطي ، ومدى قابلية الخط لهذه التقنية الحديثة ، وحين تأملنا الظاهرة وجدنا أن الحاسوب لم يستطع إنقار وإجادة التراكيب الخطية إنطلاقاً من غياب روح القلم وإحساس الخطاط الفنان .

ينضاف إلى ذلك أن جميعا التكوينات الحاسوبية جاءت مغرضة من الإبداع الفني الخالق وحسبنا أن الحروف إنما جاءت لتسد مسداً في فراغها الذى وضعت فيه .

والذى دفعنا ايضاً لخوض غمار الدراسة وإستزعى الإنتباه هو أن تداخل الحروف في التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين الخطى إنما جاء يشكل شبةاً عشوائياً وقد افتقد لأبسط قواعد التراكيب الخطية.

كما أن الحاسوب يعتمد في الكتابة الخطية على التغذية للحروف من خلال عدة أوامر ثابتة ليس بها الحد الأدنى من المرونة وهذا يتنافى مع أبسط قواعد الجمال الفنى والتكوين الخطي .

لهذا راحت الدراسة تسير في تكوينها تحت عنوان(التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين) وقد إنتظمت الدراسة في ثلاث مباحث وخاتمة وهوامش الدراسة.

المبحث الأول : الحاسوب والخط العربي .

المبحث الثاني : معنى التكوين ودوره في توزيع العناصر التشكيلية .

المبحث الثالث : ملامح التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين .

الخاتمة : وتأتى تلخيصاً أميناً لما جاء في ردهات الدراسة من مناقشات دارت حولها جزئية البحث .

هوامش الدراسة.

وبالله التوفيق وعليه التكلان ،،،، الباحث

المبحث الأول

(الحاسوب والخط العربي)

بادئ ذي بدء يمكن القول بأن الخط العربي بأنواعه المختلفة وبجمالياته الفريدة ليعد واحداً من وجوه حضارة لغة الضاد العظيمة التي شرفها الله تعالى بحمل كتابه المبين وهدى نبيه الهادي الأمين للإنسانية جمعاء. وكان وما زال الخط العربي مثار إعجاب ودهشة للكثيرين حتى من غير العرب والمسلمين ممن استهواهم الحرف العربي بسحره وروعته وتناسقه مع ما قبله وما بعده من حروف.

وفي العصر الحديث طالت تكنولوجيا الحاسب الآلي هذا الفن الرفيع مثل ما طالت غيره من جوانب الفنون الإنسانية الأخرى وأصبح بوسع أي شخص الآن باستخدام برامج معينة الحصول على وثيقته المراد كتابتها من الطابعة الملحقة بجهاز الحاسوب، مكتوبة بأجمل الخطوط ومن ضمنها تلك الخطوط الزخرفية التي لا يجيدها إلا الموهوبون من الخطاطين.

هذه الخدمة التي يقدمها الحاسوب للخط العربي موضع ريبة وشك من قبل الخطاطين اليدويين وهنا يمكننا القول بأنه هل قدم الحاسوب خدمة للخط العربي أم شوهه؟! ونتوجه بسؤال لأنفسنا وقد شغلت قضية الحاسوب المهتمين بمجال الخط العربي، وقد أدلى العديد من الخطاطين بدلوهم في تلك القضية الشائكة ففي البدء يذهب الدكتور عبد الرحمن المنتشري، وهو خطاط ومن المتعاملين مع البرامج الحاسوبية أن الحاسوب يسيء للخط العربي ويحد من اكتشاف جمالياته فيذهب إلى ما نصه :

(الحرف العربي منشأ الكلمة الكتابي ومنظومة الكلمات تشكل اللغة ، واللغة هي أداة التفكير والتعبير وبين هذا وذاك تقع حرية الاختيار والممارسة. إذ الحرف الطباعي يعطي هامشا من حرية الاختيار ويحجب كليا حرية الممارسة والتطبيق التي يترتب عليها اكتشاف جماليات وإمكانيات الحرف. وهذا بالطبع يؤدي إلى عزلة كبيرة بين شعوب الوطن العربي وبين متعة وحلاوة ممارسة كتابة لغتهم التي تعمق في نفوسهم مفهوم الارتباط وقيمة الاحترام للغة أداة تفكيرهم والتي يترتب عليه إغداقها عليهم بمكوناتها الفكرية والثقافية والإبداعية).

ويؤكد المنتشري على أن تطويع الحرف العربي للمعالجة الحاسوبية هو نوع من استلاب لجمال الخط العربي فيذهب مؤكداً على ما يري من أن تطبيع الحرف العربي ووضعه في قوالب ميكانيكية جامدة كي يواكب تقنيات الحاسوب لهو نوع آخر من أنواع الاستلاب الجمالي للخط العربي ليصبح رقماً حسابياً ونسخاً مشوهاً من الحرف اللاتيني المنفرد في تركيبه للكلمات؛ بينما نجد الحرف العربي يتميز في تراكيبه المتصلة كما له إمكانية التداخل بين الكلمات والجمل والمد والحسر بإمكانات لا حدود لها. فالحرف هو أساس اللغة كما أسلفت الإشارة إليه ومن هنا تأتي الخطورة فإذا ما نوب الحرف العربي في الحرف اللاتيني طمست شخصيته وهدمت اللغة وبالتالي مس تفكير الأمة ومعتقداتها وثقافتها وهويتها، وبذلك يسهل اختراقها وتطبيعها، وبذا تصبح الكلمة الوافدة الموحية ذات الدلالات التي تعمل على طمس الهوية أمراً ميسوراً وعادياً وغير ملفت.

والشواهد على ذلك كثيرة انظر إلى مسميات محالنا التجارية وإلى اللافتات والقنوات الفضائية تجد الكثير مما سبقت الإشارة إليه شكلاً ومضموناً.

كما يذهب الخطاط عبد الحق قاري تركستاني حين يعرض رؤيته حول الحاسوب وأثره السلبي على مستويات عدة على الخط العربي إذ يقول: (ليس بخافٍ على أحد ما للحاسب الآلي من تأثير على الكثير من مجريات الحياة إن لم تكن جميعها، وذلك بسبب الانتشار الكبير له، وقد طال ذلك التأثير الخط العربي الذي يُعد من الفنون الإسلامية الرفيعة التي اهتم بها المسلمون ولأنه أساس الكتابة وأداتها كان من أساسيات الحاسب الآلي منذ ابتكاره، وقد تطور حاسوبياً كما تطور يدوياً من قبل .

وهنا يمكن القول هل التطور في الخط العربي عن طريق الحاسوب وتكوينات حروفه هل أثر بالسلب على جماليات التكوين الخطي؟! (١)

وأرى أن هذا التطور قد أثر سلباً في الخط العربي من خلال عدة أبعاد (اجتماعية و نفسية وفنية)،

فعلى البعد الاجتماعي لم يعد هناك أي اهتمام بالخط العربي كما كان سابقاً، فقد اعتمد الكتاب وكل من له صلة بالكتابة على الحاسب الآلي في كتاباتهم الأمر الذي أدى إلى

قرب اندثار هذا الفن، كما أن خطوط معظمهم قد ساءت بسبب عدم الكتابة يدوياً. أما عن البعد النفسي فقد أصبحت الكتابة مجرد أحرف مصفوفة بشكل إلكتروني آلي، بالإضافة إلى أنها جامدة لا روح فيها ولا إبداع لأن كل حرف هو عبارة عن نسخة مكررة من سابقة أو لاحقة لأنه أدخل برمجياً في الحاسب على هذا الأساس وبشكل واحد، وأصبح مملاً للنظر.

وبخصوص البعد الفني فالتأثير السلبي كان كبيراً حيث ظهرت خطوط كثيرة ومنتوعة بغرض التنوع والإبداع ولكنها ظلت تحت سيطرة الآلة التي تتعامل بالأوامر دون إحساس وأخضعت لمجموعة من الأوامر والأشكال المحددة التي لا يمكن أن تتعداها أو تخرج عنها بشكل جديد حسب ما تقتضيه الكلمة أو معناها وتأثيره في النفس البشرية، وحتى الخطوط العربية المعروفة كالنسخ والرقعة والديواني والفارسي وغيرها من الخطوط التي أدخلت في الحاسب وتمت برمجتها لم تسلم من ذلك الإجماع والإخضاع لما تريده الآلة وليس لما يريده الكاتب أو الخطاط.

ولا نعدم أن للحاسوب بعض الدور في تكوين حروف الخط العربي حيث ظهور برنامج حاسوبي وهو الوحيد على ما نعلم الذي ساعد الخط العربي بشكل غير مباشر، وساعد الخطاطين بشكل مباشر في الكتابة بالخط العربي على قواعده وميزان حروفه، ألا وهو برنامج (كك ٢٠٠٠) الذي اختص بخط الثلث وخط النسخ وخط نستعليق والشكشكة والتحريري (من أنواع الخط الفارسي).

وترجع تلك الإيجابية من حيث كونه يختلف في برمجته عن بقية الخطوط، فهو يتيح لمستخدمه التحكم في شكل الحرف ومكانه ووضعه وكذا التشكيل والمدود والحليات وتغيير شكل الحرف حسبما يتطلبه وضع العبارة المراد كتابتها، ولأن خط الثلث هو سيد الخطوط العربية وتصعب كتابته بشكل صحيح على الكثيرين من أهل الخط لدقة ميزان حروفه واعتماد الكتابة به على التراكيب الخطية، ساهم هذا البرنامج كثيراً في الكتابة بهذا الخط البديع مع المحافظة على جمالياته وقواعده، ونتائجه لا تختلف كثيراً عن الكتابة اليدوية بل إنها تطابقها في أغلب الأحيان لأنه في الأصل خط يدوي سليم وعلى ميزان الحروف الصحيحة والأصلية.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول: كما أنه لا يمكن الاستغناء عن الحاسب الآلي في الوقت الحاضر، فإنه أيضاً لا يمكن الاستغناء عن الكتابة اليدوية وتحسين الخط وتعلم الخط العربي واستخدامه والتشجيع على نشره والكتابة به. والحاسب الآلي مهما بلغت إمكاناته في التطور، فلن ترقى إلى جودة وجمال وذوق الخط اليدوي إلا إذا تمت برمجة الخطوط بنفس طريقة برنامج الكلك وتعلم مستخدميها قواعد وأصول الخط العربي ويختم الخطاط قاري بالقول: يبقى الخط العربي فناً يعبر عن حس وذوق كاتبه، ويبقى الحاسب الآلي مجرد آلة دون روح أو حس.

كما أن استخدام الحاسوب هو نوع من تعطيل الطاقات الإبداعية وقتل لروح القلم وإحساس الخطاط الفنان والحروف بزر الحاسوب أشبه بالعشوائية إذ تقتقد لأبسط قواعد التراكيب الخطية، فضلاً عن عدم توافر الحد الأدنى من المرونة للحرف الخطي وهذا يتنافى تماماً مع أبسط قواعد الجمال الفنى والتكوين الخطي .

وبذلك يمكن القول بأن الآراء تكاد تجمع على أن الحاسوب أساء بشكل مباشر أو غير مباشر للخط العربي ولكنه في الوقت نفسه قد خدمه من جوانب أخرى لذا فالحاجة للخطاط البشري ما زالت قائمة وكذلك الحاجة للحاسوب، وبطرائق احترافية يمكن المزاجية بين اليدوي والآلي لضمان منتج غاية في الروعة والجمال وبالله التوفيق. (٢)

وقد حاولت المؤسسات العلمية المهمة بالخط العربي تشجيع الشباب على العودة لتعلم الخط العربي من خلال المسابقات التي تنظم من وقت لآخر للكشف عن المواهب الجديدة في الخط العربي، ويمثل الخط العربي شكلاً من أشكال معطيات الحضارة العربية والإسلامية، حيث يمثل قيمة فنية وجمالية وتراثية لجميع المسلمين حتى من بين المسلمين غير العرب الذين يعتبرون أن تكوينات الخط العربي بما تعبر عنه هذه التكوينات من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة أو حتى أقوال مأثورة، يتم نقشها بشكل جمالي يثير متعة الناظرين إليه كما لو أنه لوحة مرسومة.

ويقبل السائحون الأجانب في البلدان العربية لاقتناء اللوحات الفنية التي يوجد بها فنون للكتابة العربية على القماش أو النحاس، بل إن اقتناء مثل هذه اللوحات يدخل ضمن تيار فني وثقافي في الغرب مهتم بكل ما هو شرقي من فنون وثقافة.

ومع أهمية الدور الذي يقوم به الخطاط العربي كفنان عربي أصيل إلا أنه يوماً بعد يوم يتزايد الدور الذي يلعبه الكمبيوتر وتطبيقاته المختلفة في مجالات فنية وتراثية، لم يكن يخطر ببال أحد أنه يمكن الاستغناء فيها عن الإبداع البشري واللمسة الإنسانية، فقطار تطبيقات التكنولوجيا في عالم الفن والتراث يستمر في انطلاقه بسرعة من محطة إلى أخرى، حتى وصل قبل فترة ليست بالبعيدة لمحطة الخط العربي، فبدلاً من الخطاط العربي، وبدلاً من أن يقوم خطاط موهوب بكتابة لافتة أو إعلان يستغرق أسابيع لإتمام هذا العمل، أصبح في الإمكان الضغط على زر كمبيوتر للحصول على نماذج جاهزة من الخطوط.

كما يذهب أحد خبراء الخط العربي إلى التحذير من خطورة تحول عدد كبير من المهتمين والعاملين في مجال الخط العربي إلى استخدام الحاسب الآلي في الحصول على قوالب نمطية وثابتة وبدون اللمسة الإنسانية على الخط العربي أدى إلى حالة من الرتابة، وساهم في القضاء على عناصر الإبداع لدى الموهوبين. مضيماً أن الموهوبين في مجال الخط العربي لا يجدون من يتولى رعايتهم بالرغم من أن عدد هؤلاء قليل، مشيراً في نفس الوقت إلى الضعف الواضح الذي يميز خطوط طلاب المدارس في كافة المراحل التعليمية، وحتى في مرحلة التعليم الجامعي.

إلا أنه وبالرغم من التقدم التكنولوجي الكبير في مجال التطبيقات المرتبطة بالكمبيوتر في تنوع وجود الخط العربي، إلا أن التقنية الحديثة في هذا المجال لم تحل محل الخطاط البشري أبداً، مشيراً إلى أن الحاسب الآلي يمكن أن يكون له دور في الكتابة العادية، لكن الخط العربي بأشكاله الفنية والإبداعية لا يمكن أن يخرج للنور إلا من خلال إنسان مبدع ملم بفنون كتابة الخط العربي، وبأشكال الحروف وأطوالها وأحوال طمسها أو مدها. (٣)

ومن هنا يمكن أن ندلي بدلونا في ذات السياق من أن الحاسوب لا يمكن أن يرقى بحال في استخدام التكوين الخطي إلى درجة روح القلم وسباحات خيال الخطاط الفنان في تشكيل عالم الخط.

المبحث الثاني

(معنى التكوين ودوره فى توزيع العناصر التشكيلية)

يعد التركيب الفنى فى دنيا التكوين الخطي هو عبارة عن مجموعة من التعريفات للتركيب الفنى التى وضعها مختصون وصار على إثرها من جاءوا بعدهم وطبقوا ما فيها من شروط وقواعد ، فهناك من يذهب إلى أنه توزيع مختلف العناصر التشكيلية داخل مجال واحد فى أوضاع مختلفة ومشاهد متباينة من حيث الشكل واللون وهو تعريف أرى فيه الكثير من الصدق والدقة وقد بنى على تجارب وكتب من خبرة فى المجال نفسه كما أن هناك أيضاً من يرى أن التركيب الفنى هو عبارة عن تراكيب فنية ثنائية وثلاثية الأبعاد عن طريق تجميع الأشياء المعثور عليها وهذا التعريف من - وجهه نظرى- هو تعريف يشير إلى الفنون البصرية بشكل خاص ولا أرى أنه كالذي قبله من حيث الشمول والتفصيل .

وهناك تعريف آخر للتركيب الفنى يذهب إلى أنه عبارة عن (عملية جمع وبناء وتنظيم وتشكيل وتوزيع العناصر التشكيلية داخل إطار الرسم وفق قواعد علمية وفنية متعارف عليها) ، وفى هذا التعريف أكثر شمولية من الذى قبله لإحتوائه على مفردات ذات دلالة تركيبية فنية تخص المحتوى الفنى وتكوينه .

ويُقسم بعض المتخصصين التركيب إلى نوعين :

- القديم الكلاسيكي

- الحديث المطور من الناحية الفنية بشكل عام .

التركيب الفنى القديم :

وهو التركيب التقليدى الذى يهتم فى تركيب الأشكال ومصيغاتها التقليدية المتعارف عليها (العمودى والأفقى) والتى تعود عليها النظر ولم تعد يلتفت إليها الكثيرون من المهتمين .

التركيب الفني الحديث :

وهو الذى يعتمد على الخط واللون من حيث التوازن والتوزيع والتكرار والتقاطع والتناظر واللاتناظر وهذا التركيب في طريقته أقرب إلى الخطاطين فنياً من باقى الفنانين في الفنون الأخرى .

التركيب الخطى:

ويسمى التكوين الخطى أيضاً وهى صفة في الأعمال الخاصة في الخطوط العربية تحديداً ، ولم يتطرق لهذا الجانب من الناحية المصطلحية إلا القله ومنهم الخطاط والباحث ثار شاكر الأطرقي الذى تحدث بشكل عميق عن هذا الفن وفرق بشكل أكثر دقة بين التراكيب والتكوين حيث حدد أن التكوين هو : القابلية الواسعة في التشكيل والتنوع والإبداع ، بينما التركيب هو تراكب الحروف أو الكلمات بعضها فوق بعض أو تداخلها أو تشابكها من أجل الوصول إلى ما يسمى (بالنقوش الكتابية) وهنا أرى أن التركيب والتكوين وجهان لعمل واحد وليس كل مستقل عن الثاني وعليه أرى أن تعريف التركيب الخطى هو كتابة الجملة المستخدمة في العمل الخطى بشكل متداخل الحروف ومتراكب الكلمات على شكل طبقات فوق بعضها ليست سهلة القراءة في كل الأحوال .

وإنطلاقاً مما سبق نرى أن التكوين الخطى هو عبارة عن تجميع الكلمات فيما بينها، بهدف جمالي بحث على حساب المقروئية للعبارة المخطوطة، إذ تكون النتيجة عبارة متلاعبة، ومتشابكة، وغير مقروءة.

كما تتوفر لدى الخطاط الرغبة الجمالية التى تدفعه إلى تغيير مكان الكلمات والحروف، فيقارب الأحرف المتشابهة، ويجعلها تتعاقب فيما بينها، ويبعد المتنافرة منها ويصغر من حجمها، ويبني تكويناً هندسياً أساسه الحروف العمودية الصاعدة والحروف المستقيمة والمدورة.

على حين أن فلسفة النظر للتكوين الخطى تكون بشكل كلي وليس جزئياً، ولا يجب رؤية الكلمات والحروف بشكل منفرد لغرض القراءة، إنما يتم بنظرة شاملة لأجل التذوق الجمالي البحث، كما ننظر للشجرة ككل ولا ننظر لكل غصن أو ورقة كل على حدة.

ويفترض أن يعطي شكل التكوين للمشاهد رؤى التوازن الهندسي والتناغم الموسيقي، عبر تعانق الحركات الخطية وثقل وخفة الحروف، وعبر الامتلاء للحروف والفراغ حولها.

أهداف التكوين:

الهدف الأول من التكوين هو جمالي، أي إعطاء المشاهد هندسية جديدة، ونغم جديد ما بين أجسام الحروف والفراغات المحيطة بها، فتكون هذه التكوينات مبعث طاقات جديدة تضاف لذاكرة البشر. فعندما يتحسس الفرد الجمال الفني يتحول هذا الجمال إلى طاقة مقوية للإنسان يستلمها عبر العمل الفني.

وفي حالة عدم التمكن من قراءة العبارة فان ذلك لا يسبب مشكلة للخطاطين؛ لأن هدفهم من عمل التكوين هو هدف فني قبل كل شيء وليس قراءة النص. ولما كانت التكوينات تستخدم نصوص وحكم مشهورة، فيصبح محاولة قراءتها من المشاهد نوع من النشاط الذهني، فبمجرد التعرف على بعض الكلمات يخمن المشاهد العبارة التي كتبت، وبأي طريقة حورت، فيتحول بدوره إلى مشارك في العملية الفنية.

كذلك يستخدم الخطاط كل ما يُجاز له استعماله، كتطويل بعض الحروف بشكل أفقي أو عمودي، أو وضع مدات ما بين الحروف، أو بدء العبارة من الأعلى إلى الأسفل أو العكس.

مراحل إنشاء التكوين:

يبدأ الخطاط بتخيل شكل هيكل هندسي مبسط دون حسابات رياضية لتتوضع عليه الحروف، ويتم تقدير الشكل وثقله بالتخيل. وهذا الهيكل الهندسي الوهمي هو الذي سيعطي التوازن والتناغم للتكوين، كما سيتمنح القوة لتمامسك الكلمات ويكون هذا الهيكل اللا مرئي كامناً خلف الحروف -تماماً كما يختفي الهيكل العظمي خلف عضلاتنا- وسيكون هذا الهيكل اللا مرئي نفسه سبب إعجاب كل من لا يقرأ الحرف العربي بالتكوينات الخطية؛ لأن هذه الهندسية البدائية البسيطة هي لغة عالمية كما أن التوازن الذي تسمح الهندسة به هو مصدر سعادة داخلية.

ومن خلال متابعتنا للتعريفات ودنيا التكوين الفني / والتركيب الخطي وجدنا أن بعض الأساليب الخطية للخطاط تسمح بتحقيق رؤيته على الورق أكثر من غيرها، فقد ساعدت مرونة بعض الأساليب الخطية، كأسلوب الثلث، على إنجاز التكوينات ذات الحروف المدورة، بينما استعمل الخط الكوفي للتكوينات ذات الخطوط المستقيمة. في البداية يتخيل الخطاط أشكال حروفه بهدف عمل التكوين، كتمثال كبير من الكلمات، يقف على الأرض، ويصعد عالياً في الفضاء.

كما يفكر الخطاط في بناء جديد للعبارة، ويتحسس حروفه الصاعدة، والتي ستواجه ضغط الفضاء، وشد الجاذبية الأرضية. ومهما كان التكوين الخطي صغيراً فإنه صورة لعالم أكبر. وهكذا تكون الأمور دائماً في الخط حيث أبسط حرف يمثل في ذهن الخطاط عوالم واسعة من الأشكال والمعاني. يلتزم الخطاط بالأمانة في إنجاز الحروف بأحسن ما يتمكن، من أصغر حرف إلى نهاية التكوين، ولا يمكن أبداً الغش في مجال الخط. فان لم يكن الخطاط على أحسن ما يرام، فان ذلك سيبدو واضحاً في ضعف الحروف وهشاشة التكوين، فعليه أن يلتزم ذهنياً وجسمانياً وبكل أحاسيسه في تركيز تام قبل أن يبدأ بالكتابة، وان اختل تركيزه بسبب ما واضطرب فسيكون ذلك واضحاً للعين المتمرسه، التي ستري خطوطه فيما بعد.

لذلك يبحث الخطاط قبل بدء الكتابة عن جو هادئ، كما يمارس التمرين بخط كل حروف الألفباء للأسلوب الذي سوف يكتب فيه، ويكررها لساعات طويلة، حتى يشعر تماماً بكمال قدرته، وتمكنه من كافة حروفه، عندها يبدأ خط التكوين.

وعندما يكرر الخطاط كتابة الحروف في التمرين فهو يدفع الذهن ليذهب إلى أماكن فسيحة واسعة وفارغة، ترتسم فيها بوضوح صور التكوينات المتخيلة والتي يريد إنشاؤها، وتدرجياً يملأ هذا الفراغ الذي يراه بمخيلته بالخطوط والتكوينات، وصدى العبارات المخطوطة، فيتوجه عند ذاك بقلمه نحو المحبرة ليخط ما نسجه في خياله، فتتحول الورقة إلى شكل المنظر الفسيح الذي تخيله، يمارس فيه الخطاط حرية التعبير والابتكار بتشكيلات جديدة، تكوينات لم تعرف من قبل، ولكنها على صلة عائلية بخطوط الماضي.

ويمكن للخطاط أن يعطي لنفس العبارة ونفس الكلمات تكوينات متعددة ومختلفة، يعكس فيها مفهومه الجمالي وفلسفته ونظرته للعالم، يمكن أن يكون التكوين مغلقاً على نفسه، أو متفتحاً على العالم، يمكنه أيضاً أن يكون واقفاً، ويمكنه أن يكون راکضاً.

مهما كبر أو صغر التكوين الذي ينتجه الخطاط، فإنه يبقى محتفظاً بقوته التعبيرية بسبب الهيكل الهندسي التجريدي الذي فكر به في بداية عمله الخطي.^(٤)

الديناميكية في التكوين:

تتكون الديناميكية في التكوين في البداية من أصغر الحروف، ثم من الكلمات، وأخيراً في التكوين كله.

أ) ديناميكية الحروف:

تأتي قوة وديناميكية الحروف من داخل كل حرف. فمثلاً، لو أخذنا حرف الألف في خط الثلث، فإنه عند الخطاط ليس خطأ مستقيماً فقط، بل هو سلسلة من الحركات المتموجة اللامرئية داخل الخط، فهذا الحرف الذي يبدو مستقيماً للوهلة الأولى إلا أنه مجموعة من حركات معقدة، فيبدأ الحرف من الأعلى بتقعر خفيف غير مرئي لجهة اليمين، ثم تحذب نحو اليسار، وبعد ذلك ينزل الحرف في استقامة وسطية، وقبل هبوطه لملامسة السطر يميل قليلاً نحو اليسار. وهذه الفوارق الصغيرة تعبر عن قوة الخط في الأساليب الكلاسيكية، وإذا فُقدت سيكون الخط ضعيفاً. كذلك يخفي الخطاط في كل حرف مستدير أجزاءً صغيرة من الخطوط المستقيمة لمنح الحرف قوة تمنعه الارتخاء.

إن هذه الحركات الصغيرة الرهيفة التي يتعلمها الخطاط الناشئ من الخطاطين الكبار الذين سبقوه، هي التي تجعل من حروفه خطوطاً ثرية التعبير الفني.

ب) ديناميكية الكلمات:

تأتي من قدرة الخطاط على إعادة صياغة ورسم الكلمة في كل مرة من جديد، ويمكن لذلك أن يحدث عبر إعادة كتابة نفس الحروف بشكل أقوى من السابق، أو البحث في

خياله عن رسوم متعددة لنفس الحروف كي تشغل المكان بشكل أفضل. ففي أسلوب الثالث مثلاً؛ توجد لكل حرف عدة أشكال ابتكرها الخطاطون منذ قرون عديدة.

ج) ديناميكية التكوين كله:

قبل كل شيء، يتخيل الخطاط الاتجاهات العريضة للتكوين، والمساحة التي سيشغلها التكوين: المربع، أو المستطيل، أو المثلث، أو يجد شكلاً جديداً. ثم يأتي بالحروف ويُسكنها في تلك الفراغات، أو يسكبها كصائغ الحلية، يُسكن الحروف داخل وحول الهيكل الذي تخيله. ولو بقيت حروف متمردة ترفض الانصياع والمشاركة بالعملية الفنية، فيترك لها مكان صغير، ويخطها بقلم رفيع كيلا يؤثر حجمها على المظهر الفني العام للتكوين. وهكذا فإن الخطاط يتحكم بقوة في مصير حروفه. وفي أوقات نجد بعض الحروف عصية أيضاً، فهي تطيع بعض الخطاطين وليس جميعهم. ولهذا نعجب بخطوط البعض فقط، ونميل لرؤية خطوطهم باستمرار. إن مشاهدة تكوين قوي تهبنا شعوراً بالراحة والاطمئنان بعكس الخطوط الرديئة التي تخلق بداخلنا إحساساً بالقلق.

إذاً نجد أن التكوين الخطي يعطي نصف المعلومات للمشاهد ، أما النصف المتمم فيبحث عنه المشاهد في نفسه، يبحث عن المعنى محاولاً القراءة، ويتخيل أفكاراً في الشكل العام للتكوين قد تكون بعيدة تماماً عما تخيله الخطاط. آنذاك يضع حقيقته في العمل الفني فيشعر هو نفسه وكأنه قد ساهم في عمل التكوين، كما يمكنه أن يشعر هو أيضاً أنه مبدع خلاق.

وبذلك يكون التكوين وهندسته حالة حضور خاصة تتناغم فيها ديناميكية الحروف في داخل كل كلمة والقدرة على الصياغة ورسم الكلمة مما يعطى في النهاية ديناميكية التكوين كله وهذا مما تعجز عنه التجربة الحاسوبية .

المبحث الثالث

(التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين)

وبعد أن قدمنا معالجة بارزة للحاسوب والخط العربي ثم أدلينا بتعريف للتركيب الفني/التكوين الخطي وكونهما وجهين لعمل واحد وليس كل مستقل عن الثاني نصل للرأى والرؤية في التجربة الحاسوبية في هندسة التكوين .

حيث لم يستطع الحاسوب إتقان وإجادة التراكيب الخطية وهذا أدى إلى قلة حرص الناس على تعلم الخط العربي وتجويده، فسوف نستخدم الحاسب الآلي في الكتابات الرسمية والمؤلفات بدلا من الخطاط، وسوف نستخدمه في اللوحات المدرسية والإعلانية بدلا منه كذلك، وهذا يفسر لنا قلة معاهد تحسين الخطوط في وقتنا الحاضر. أما من حيث الجودة والجمال فإنَّ مهارة الإنسان بيده تفوق مهارة الآلة، لأنَّ الخطاط يسحر الناس بجمال خطه، ويستوقف الأبصار بذوقه وإبداعه، فهو كالإعجاز البشري، حيث يقف الناظر مصدقاً ومكذباً أن يرى هذا الخط الجميل الرائع من يد الإنسان، بخلاف الطباعة بواسطة الحاسب الآلي حيث يدرك أنَّ بإمكانه أن يأتي بأجمل منها، طالما أنه الأفضل في استخدام هذه الآلة.

فضلاً عن أن عدم إتقان الحاسوب وإجادته للتراكيب الخطية قد أثر بالسلب على الخط العربي فمعظم ما يكتب وينشر حالياً يتم من خلاله، والمدير في أي دائرة حكومية يفضل الكتابة عبر الحاسوب وفي هذا تعطيل للطاقات الإبداعية في هذا المضمار. والمسئول يتأثر بتأثير الجهاز وحتى من يقدر له القيام بالبحث فقد لا يكتب بيديه شيئاً الآن فالجمع للمادة المطلوبة يتم من خلال الجهاز وعبر النسخ واللصق ولا مجال للكتابة اليدوية إلا في أضيق الحدود.

ناهيك على أن الحاسوب قد أساء لحروف الخط العربي من حيث غياب روح القلم وغياب إحساس روح الخطاط الفنان وتقييمه لها من حيث حجم الحروف والمسافات بينها ونحو ذلك وهذه لا تخضع دوما لقاعدة يمكن برمجتها آليا وبالتالي تعميمها وهو ما تفعله برامج الخط العربي وكذلك الخطوط العربية المنتجة حاسوبياً.

ويرى بعض المهتمين بالقضية بأن بعض برامج الحاسوب تقوم بتوليد عدد كبير من أنواع الخطوط التي وضع لها مبرمجوها أسماء من عندهم وبعضهم سماها باسمه الشخصي الأمر الذي جعل كثيرا من الخطاطين يتحفظون في الاعتراف بهذه الخطوط ويشككون في أثرها في مسيرة الخط العربي .

كما يرى مبرمجو الحاسوب أن الحاسوب خدم الخط العربي كثيرا لا سيما من يريد مجرد طباعة وثيقة أو خطاب أو بحث أو نحو ذلك فالحاسوب يحقق له غرضه هذا بشكل أفضل مما لو كتب الوثيقة بنفسه في أغلب الأحوال.

أما لو أردنا خط لوحة إبداعية فمن المؤكد أن الحاسوب لن يخدمنا كثيرا لأنه يفقد للمسة الإبداعية الإنسانية.

لذا فنحن محتاجون للخطاطين اليدويين بجانب الحاسوب ولو تمت المزوجة بين الخط اليدوي والخط الحاسوبي لخرجنا بمخرجات في غاية الروعة والإتقان وأتمنى أن يطبق هذا الأمر في الخط على كسوة الكعبة المشرفة والتي تتم الكتابة عليها حاليا بالخط اليدوي فقط ولو أضفنا لها إمكانات الحاسوب لكانت أكثر جمالا وبهاء وروعة).

وبالتالي فإن تأثير الحاسوب على فن الخط العريق بسبب العمليات الميكانيكية التي تنطوي عليها كتابة الخط التحليلي من ناحية والفصل بين الخطاط والأعمال الفنية التي يبدعها من ناحية أخرى عند استخدام الحواسيب ، وهذا مما يؤكد على تخوف الخطاطيين ومحبي التقليدي وخشيتهم من هذا الضرر البالغ الواقع على فن الخط ومواجهة التحديات التي تفرضها الوسائط الجديدة حيث برامج الحواسيب لمحاولة مجارة فنون وجماليات رسم الحرف العربي.^(٥)

كما نرى أن التكوينات الحاسوبية للحروف الخطية جاءت مجردة من روح الإبداع وكأنها ما جاءت إلا لتسد فراغها على حين أن التكوينات للحروف الخطية لابد أن تنطلق منها وتشع روح الوجود للحرف الخطي وهذا لا يظهر في التكوينات الحاسوبية. كما أن تداخل الحروف بشكل يشبه العشوائي في تكوين الحروف بطريقة الحاسوب لكفيل بأن يُفقد جمالية الحروف وتناغمها ويقتل اللمسة الإبداعية في روح الحرف لأن الخطاط الماهر يعتبر الحاسوب عاملا مساعدا ، لكن الخطاط الضعيف هو الذي

يجعل من الحاسوب كل شيء، فهو يكتب ثم يستخدم الحاسوب ليجعل من الخط تحفة ليس فيها تدخل يدوي، فلا بد أن يكون للخطاط شخصية مستقلة تعبر عنه ، وهذا ليس إنكار أن الحاسوب وفر على الخطاطين وكل من يعمل في الفن التشكيلي جهدًا كبيرًا لكن أثر على الأشياء الروحانية الأصلية.^(٦)

وثمة فرق بين خطوط الحاسوب والخط اليدوي، فهي تقوم بمقام قريب منه لكن لا غنى عن الخط اليدوي، لكنه جهد مشكور ممن يحاولون إيجاد حلول وبدائل لإثراء اللغة وليس لإثراء الخط، لأنه معتمد في الأساس على الأشياء الأصلية، وكل من يدخل مجال الخط العربي دون ممارسة هذا الفن بيده ليس بخطاط أو فنان.

كما أن إعتاد التكوين الخطي على تغذية الحاسوب من خلال إصدار أوامر بحروف معينة لتشكيل لوحة خطية فهذا ليعد بمثابة قواعد ضاغطة غير مرنة في كتابة أنساق الحروف وهذا يتعارض مع أبسط قواعد الجمال الخطي.

إذ تتمتع حروف الخط العربي بالقدرة على الصعود والنزول والانبساط والمرونة في تغيير اشكالها لذا يعد الخط العربي فنًا تشكيليًا، وتلك الصفات تجعله سهل التعبير عن حركته وكتلته فينتج حركة ذاتية تجعل الخط خفيف الكتلة وذو رونق مستقل يجعله يحقق احساسًا بصريًا ونفسيًا وإيقاعًا جميلًا وهذا لا يتوفر في إعتاد الحاسوب على تغذية لحروف من خلال أوامر ثابتة غير مرنة وهذا ما يتنافى تمامًا مع أبسط قواعد الجمال الخطي على نحو ما أشرنا .

ويتمتع الخط العربي بصفات خاصة تميزه عن غيره وأهمها التجريد في الحروف واستقلاليتها وهو من أبرز الفنون التشكيلية.

ختامًا نرى أن الآراء تكاد تجمع على أن الحاسوب أساء بشكل مباشر أو غير مباشر للخط العربي ولكنه في الوقت نفسه قد خدمه من جوانب أخرى لذا فالحاجة للخطاط البشري ما زالت قائمة وكذلك الحاجة للحاسوب، وبطرائق احترافية يمكن المزوجة بين اليدوي والآلي لضمان منتج غاية في الروعة والجمال.^(٧)

وبالله التوفيق.

(خاتمة الدراسة)

وبعد هذه الدراسة المتأنية والوقوف على ملامح التجربة الحاسوبية وهندسة التكوين نجد أن :-

- للحاسوب الأثر السلبي في الأغلب الأعم على دنيا تراكيب وتكوين الخط العربي من كون أن الحاسوب يعتمد على تغذية معينة للحروف من خلال أوامر ثابتة ضاغطة تتسم بكونها غير مرنة مما يتنافى مع أبسط جماليات قواعد الخط العربي .
- وقفنا أيضاً على كون أن التكوين هو عبارة عن توزيع مختلف للعناصر التشكيلية في مجال واحد ومشاهد متباينة من حيث الشكل والتركيب ، والحاسوب قد لا يقوى على ايجاد هذا النوع من فرادة التكوين الذي لا تتوفر فيه قيمة التناسب والتناسق في توزيع الحروف .
- كما وقفنا على ان الحاسوب ولغته في التكوين الحرفي لا تقوم بحق الإتقان والإجادة للتراكيب الخطية ، فضلاً عن غياب روح القلم وإحساس الخطاط الفنان .
- كما تجدر الإشارة إلى أن الحاسوب لا يستطيع التكوينات الخطية المدهشة والتي تشكل ألقاً هادراً في براعة التكوين الخطي ولكن حسب التجربة الحاسوبية أنها جاءت لتسد الفراغ الحرفي .
- فهما أن التجربة الحاسوبية تؤكد على أن تجربتها لا تقوم إلى على التغذية للحروف من دون مراعاة كيفية طواعية الحرف وإنسجامته مع غيره وهذا يتنافى مع ابسط قواعد الجمال الخطي .
- التكوين والتركيب هما وجهان لعمل واحد وليس لوجه الإستقلال عن الثاني في العمل الخطي حيث تتداخل الحروف وتترابك الطبقات فوق بعضها مما يعطى لها المسحة الجمالية وروح الخطاط الفنان وهذا لا يتوافر في التجربة الحاسوبية والتي أثرت بالسلب على روح القلم وإحساس الخطاط .

هوامش الدراسة :-

- ١- مجلة الإتصالات والعالم الرقمي ، العدد ٢٠٣ ، الأحد ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ ، خلف سرحان القرشي ، بتصرف كبير.
- ٢- الجسرة الثقافي ، ١٥/٠٤/٢٠٢١ م ، خطوط الكمبيوتر هل هزت عرش الخطاط العربي بتصرف.
- ٣- الخط العربي من الورقة - اليد إلى المطبعة إلى الآلة - الحاسوب - شاكر لعبيبي - ناقد عربي ، ١ مارس ٢٠٢٣ م بتصرف .
- ٤- الجسرة ، التكنولوجيا وإهمال اللغة أثراً سلباً على فن الخط ، الخطاط / مصطفى عمرى ، العدد ١٥ - الثقافة الإلكترونية ، المصدر الوعي الثقافي بتصرف.
- ٥- ينظر الخط العربي ومخاوف التقنية فى الزمن الرقمي - الجزيرة - ثقافة عربي - ٢٥ / ٠٦ / ٢٠٢٠ م بتصرف
- ٦- الخط العربي فناً تشكلياً ، موقع بيانات ، الكتب ، الخط العربي .
- ٧- ينظر فى ذلك على سبيل المثال :
- الخط العربي وخطوط الحاسب - نهاد نديم - لغتنا العربية فى عيدها العالمي ٢٠١٤/٠٥/٢٨ .
- الخط العربي يقاوم رياح التكنولوجيا - الحساء عدرة - ١٤ حزيران ٢٠٢٣ م - شبكة الميادين .
- الخط العربي من اللوحة التشكيلية إلى شاشة الحاسب - المجلة العربية - الجمعة ٢٠١٠/٠٩/٣ .
- مصير الخط العربي مع تطور الحاسوب - وطن للأبناء - صحيفة العرب ٢٠١٦/١٠/٢٥ .

(ملاحق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

